2024 نيسان مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 4
April 2024 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 4
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

سردية الماء في رواية (سابع أيام الخلق) لـــعبد الخالق الركابي

أ.م.د أماني حارث مالك الغانمي
التخصص :اللغة العربية /النقد الحديث
جامعة القادسية /كلية التربية للبنات
Amani.alganmi@qu.edu.iq

الملخص:
إنّ مدينة الأسلاف التي بناها الركابي في قلب مدينته بدرة تجري الرواية فيها بوصفها مدينة خيالية مفترضة من قبل خيال (الركابي) وهو ما يجعل الماء في الرواية، يحقق امتدادًا حكائياً وزمنياً بين ماضي البلدة وحاضرها، بشكل يضفي عليها نوعًا من القدسية والشرعية التاريخية، في امتدادها في الوجود الطبيعي والرمزي؛ لأنّه المحدد الأول لمصير البلدة ولحياة أهلها، فهو ليس مجرد مصدر مياه فقط، بل هو الأصل في كلِّ شيء، يدين له أهل البلدة باستمرارهم في العيش بكرامة وهو الشاهد على ما في ذواتهم وفي أشجانهم وعواطفهم ووجودهم، فضلًا عن ذلك، يبدو "الماء" في النص الروائي مؤطرًا لمواقف الشخصيات، ولأحاديثهم وأمزجتهم وأنشطتهم الزراعية والاقتصادية، ولأسمارهم وأزمنتهم ومصائرهم في البلدة وعمومًا، ففضاء الماء ، يبقى مغلقًا بسردياته الخاصة، التي تتجاوز أبعادها الواقعية، لتغدو أفقًا استعاريًا وفلسفيًا ورمزيًا موحيًا، جعلت أهالي البلدة يعيشون، في الوقت نفسه، حالات من الهدوء والسكينة والاندماج والتلاحم، وحالات من القلق والتمرد والرفض والانتفاض، وتخلخل الكثير من المعتقدات واليقينيات والمفاهيم فيها، بما فيها تغييرها لنمط تفكير الشخصيات، في انشداد بعضهم إلى ماضيهم وفي انفتاح غيرهم على المستقبل جسدها في أسطورة "الماء" تحديدًا، في تأثيرها على مسار الأحداث وتطور الشخصيات، جاعلًا محورها الأساس تلك العلاقة المرتبكة، التي أحدثها "الماء"، بين الإنسان والإنسان في البلدة؛ لأنّ النص الروائي حافل بالكثير الذي يرمز له الماء وهذا ما دعانا لاختيار النص الروائي(سابع أيام الخلق) متخذين من منهج التلقي سبيلاً لاستكناه دلالات الماء في النص، بعد أنْ قسمنا البحث لتمهيد يتحدث عن الماء وعلاقته بالسرد بوصفه فضاءً متعدد الدلالات وألحقناه بمبحثين تضمن الأول: الماء وأثره على الشخصيات والمبحث الثاني تضمن رمزية الماء.
الكلمات المفتاحية: سردية، الماء ، رواية ، سابع أيام الخلق، الركابي .

The narrative of water in the novel (The Seventh Days of Creation) by Abdul Khaleq Al-Rikabi

Dr. Amani Harith Malik Al-Ghanimi
Amani.alganmi@qu.edu.iq
University of Qadisiyah / College of Education for Girls

Abstract:
The city of the ancestors that Al-Rikabi built in the heart of his city, Badra, in which the novel takes place as an imaginary city assumed by Al-Rikabi's imagination, which is what makes water in the novel achieve a narrative and temporal extension between the town's past and its present, in a way that gives it a kind of sanctity and historical legitimacy, in its extension. In natural and symbolic existence; Because it is the primary determinant of the fate of the town and the lives of its people. It is not just a source of water, but rather it is the origin of everything. The people of the town owe their continued living in dignity to it, and it is a witness to what is within themselves, their hearts, their emotions, and their existence. In addition, "water" in the novel text appears to frame the characters' positions, their conversations, their moods, their

agricultural and economic activities, their names, their times, and their fates in the town and in general. The space of water remains enveloped in its own narratives, which go beyond their realistic dimensions, to become a suggestive metaphorical, philosophical, and symbolic horizon that made the people At the same time, the town lives in states of calm, tranquility, integration, and cohesion, and states of anxiety, rebellion, rejection, and uprising, and many of the beliefs, certainties, and concepts in it are disturbed, including its change in the thinking style of the characters, with some of them drawn to their past and others' openness to the future, embodied in a myth." Water specifically In its impact on the course of events and the development of characters, making its main focus the confused relationship, created by "water", between man and man in the town; Because the fictional text is full of what water symbolizes, and this is what prompted us to choose the fictional text (The Seventh Days of Creation), taking the receptive approach as a way to explore the connotations of water in the text, after we divided the research into a preface that talks about water and its relationship to the narrative as a space of multiple connotations, and we attached it to two sections that included the first: Water and its effect on characters. The second topic included the symbolism of water.
key words: Narrative, water, novel, The seventh day of creation, Al-Rikabi .

التمهيد: السرد والماء:

1-السرد:

السرد في كلام العرب يتكون من ثلاثة أحرف وهو أصل في كلامهم، فحروفه هي (السين، الراء، الدال) وقد وردت له معان عدة في معاجم اللغة، ففي مقاييس اللغة لابن فارس "السين والراء والدَّال أصل مطَّرد منقاس، يد ل على توالي أشياء كثيرة، يتصل بعضها ببعض، من ذلك السرد اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الحلق." معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 3 مادة (سرد) ص 157).

والمعنى لا يختلف كثيراً عما ورد في لسان العرب لابن منظور فالسرد عنده: " تقدمة شيء إلى شيء، تأتي به متَّسِقا بعضه في أثر بعض، متتابعاً، وسرد الحديث ونحوه يسرده سرداً، إذا تابعه، وفلان سرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم: لم يكن يسرد الحديث سرداً أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن: تابع قراءته في حذر منه، والسرد المتتابع، وسرد فلان الصوم إذا ولاه وتابعه، ومنه الحديث: كان يسرد الصوم سرداً " (لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ج3، مادة سرد ،ص211)؛ فالمعاني العديدة للسرد التي وردت في المعاجم نرى أقربها هو ما ورد في معجم العين للخليل، "سردَ القراءة والحديثَ يسردُه سرْدًا أي يتابعُ بعضه بعضاً" (العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1 ،1408ه– 1988م، 7 /226).

أما في الاصطلاح : " فالسرد في أبسط صوره هو "المصطلح العام الذي يشتملُ على قص حدثٍ أو أحداثٍ أو خبر أو أخبارٍ سواء أ كان صميم الحقيقةِ أمن ابتكار الخيال " (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت ،ط2 ،1984م، ص198)، وبما أنّ السرد عالم واسع جداً ، وهو عماد الكتابة الروائية يرى يقطين أنّه "يرتبط بأيّ نظام لساني أو غير لساني وتختلف تجلياته باختلاف النظام المستخدم فيه" (الكلام والخبر –مقدمة للسرد العربي-، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1997م، ص19) "ويرى أيضاً أنّ السرد يتضافر

مع المكونات الأخرى ليشكل العمل الروائي قاصداً الزمان والمكان والشخصيات وعليه فهو الطريقة أو الكيفية التي تُروى بها القصة، عن طريق قناة معينة تبدأ بالراوي وتنتهي بالمروي له(ينظر المصدر السابق)، وما تخضع له من مؤثرات بعضُها متعلق بالراوي والمروي له، وبعضُها الآخر متعلق بالقصة نفسها(ينظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3 ،2000م، ص45)

والسرد أيضاً مجموعة التقنيات (أحداث، أفعال، شخصيات، فضاء) التي تشكل مجتمعة العمل السردي الذي يتأسس انطلاقا من المكونات الثلاثة (ينظر: أدبية النص السردي عند أبي حيان التوحيدي، حسن إبراهيم الأحمد، دار التكوين للتأليف والنشر، دمشق سوريا، ط1، 2009م، ص145) فالسرد ثلاثة أنواعٍ حسب الحكايةِ (القصةِ المسرودة) بغضّ النظر عن الوسيلة كما يراها وليد حامد الجعل فقسم السرد على ثلاثة أقسام هي :

1"-السردُ الحقيقيُّ (اللامتَخَيلُ): وفيه يقوم شخصٌ من الواقع بسردِ قصةٍ حقيقيةٍ، حدثتْ فعلاً بكل مكوناتها، فالسارِدُ والأحداثُ والشخصياتُ والزمان والمكان كلُّ ذلك من عالمِنا الواقعيّ؛ ولهذا يكون السارد مسؤولاً عما يقولهُ ، فيحقُّ لنا أنْ نسأله عَن مصدرِ قصتهِ، وتبيان مدى صحتها، هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخرى يمكن أنْ نستشهدَ بها، نتخذَها دليلًا، كالسردِ في التاريخ .

2-السردُ المتخيلُ: وفيه يقوم ساردٌ مِن الخيال بسردِ قصةٍ مِن عالِم الخيال بكلِّ مكوناتها: فالسارِدُ والأحداثُ والزمان والمكان والشخصياتُ من ورق، وعليه لا يحقّ لنا سؤالُه عن مصدرِ قصتهِ ، ولا نتخذُها دليلًا وشاهدًا عما حدثَ في واقعنا حتى لو استخدَم أسماءَ شخصيات و أماكن وأزمنةً حقيقيةً ، فهيَ تبقى في الأخيرِ من عالم الورق.

3-سردٌ مزيجٌ من الحقيقةِ والخيال، وهو يأخذُ في الأغلب أحكامَ السردِ المتخيلِ" (شعرية السرد في روايات ليلى العثمان، وليد حامد الجعل، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة ، 2015م، ص 24) والنص الروائي الذي بين أيدينا هو مزيج بين النقطتين الثانية والثالثة فقد بنى عبد الخالق الركابي مدينته الخيالية على أساس مدينته الواقعية بدرة.

2-الماء :

ارتبط عنصر الماء بالعديد من الممارسات الدينية والاجتماعية والثقافية، فهو يشكّل في الحياة اليومية أدواراً اجتماعية وثقافية ودينية؛ كالاعتقاد بقدسية بعض الينابيع والبحار والأنهار والمجاري المائية، وقام الإنسان بإنشاء هالة وقصص حول المياه، يقال عنها أسطورية وخرافية، وكانت الغلبة لمن يمتلك الماء ويعمّر ضفاف الأنهار والأودية والمصبّات فقد ارتبط بالحياة على الأرض وقيام الحضارات المتعاقبة التي منحته صفة القداسة؛ فالأنسان البدائي اتجه بتقديسه للعيون والآبار والأنهار والجداول والأمطار واتّخذ منها معبودات يقدسها ويجلها ويقدم إليها الأضاحي والنذورات ليحافظ على وجودها ولتتقبل ذلك منه. (ينظر: رمز الماء في الأدب الجاهلي ، د. ثناء أنس الوجود، مكتبة الشباب ، مصر، د.ط ، د.ت، ص 63-41) وهذه القدسية ألهمت الإنسان دلالة الخصب والتجدد والابتعاث من جديد، بما يحمله من نعيم وخلاص، فالإنسان يراه أصلاً لكلّ حياة وحضارة . (ينظر: مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف خليف، دار الحقائق ، بيروت ، ط4 ،1985 ، ص159) ومضمون ما ورد لا يختلف في معناه عما صورته أغلب الديانات السماوية، ففي الكتاب المقدس وردت قداسة الماء في سفر التكوين " في البدء خلق السموات الأرض وكانت الأرض خاوية خالية وعلى وجه الأمر ظلام روح الله يرف على وجه الماء " (الكتاب المقدس كتب العهد القديم والجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ،بيروت ،ط4، 1995م، ص1) ليس هذا فحسب بل الماء حفظ موسى عليه السلام من الغرق مرتين، الأولى عندما القته امه في اليم بأمر الله والثانية عندما انشق له البحر بعد ملاحقة فرعون وجنوده له، وفي العهد الجديد أيضاً من معجزات عيسى عليه السلام مشي على الماء وعزز ذلك آيات القران الكريم، وبما أنّ الماء أصل كلّ شيء فالقائل عز وجل يقول:﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (القرآن الكريم/ الأنبياء-آية 30). وأما الدكتور عبدالواحد لؤلؤة يقول" ورد ذكر الماء في القرآن بصور شتى، حيث ذكر أكثر من مئتي مرة، فهو مصدر كلّ شيء حي، ورزق وإطعام، ووسيلة للتخلص من بشر أو إبعاده، وأشار إلى أنّ الجنات التي

تجري من تحتها الأنهار وردت أربعين مرة في سياق تسع وأربعين سورة " (نقلاً عن جريدة الاتحاد: قراءة المظاهر المتعددة للماء داخل الرواية ،31 ،مارس ،2009م) وهو أصل الانسان الذي خلق من ماء دافق، فهذه القداسة المستمدة من النصوص الدينية توافقت على أهميته فالدكتور حسن حنفي يرى في السرديات الدينية التوحيدية، أنّ "الماء في السرد الكوني للتوراة صورة قوة الحياة، وهو في السرد الروحي للإنجيل صورة تطهير الروح، وفي السرد الطبيعي الإنساني في القرآن ينزل الماء من السماء ليحيي الأرض ويخرج الثمرات، ممّا يعني أنّ 'هناك تواصلاً في الديانات الروحية الثلاث في سرديات الماء من السرد الكوني إلى السرد الروحي إلى السرد الطبيعي الإنساني، وذلك بسبب كون البيئة الجغرافية والبيئة الصحراوية واحدة، والذوق الأدبي واحد وهو العقلية البدوية"· (نفس المصدر جريدة الاتحاد) التي جعلت الماء شديد الأهمية؛ لأنه واكب الحياة الإنسانية عبر تاريخها الطويل فهو قيمة وجودية مرتبطة بالإنسان وفلسفته في الحياة ورؤيته فالماء والانسان متلازمة والسيطرة على الماء و(تدجينه) كانت هي البوابة نحو اكتشاف الأنشطة التي من خلالها اتخذ الكائن البشري حجماً إنسانياً وراكم معارف رمزية حول العالم وحول ذاته عندما أصبح الماء جزء من أدبياته وأفكاره فضمنها ما يكتب فهو الشاهد على أحزانه وأفراحه وهو الفاعل الحقيقي الصامت لها ويشكّل حضوراً متميزاً، وخاصة في الرواية التي اتّخذ فيها الماء دلالات مختلفة تتراءى في الدلالة الوجودية والدلالة الأيديولوجية وهو ما نحاول الوقوف عليه في رواية سابع أيام الخلق .

المبحث الأول : الماء والشخصيات

تعد الشخصية الروائية المحرك الأساسي للأحداث، إذ تسند إليها الأدوار وتعمل على تشكيل ملامح القصة الروائية من البداية إلى النهاية " فالشخصية عنصر مهم في عملية البناء الفني، وترجمة الباطن غير المرئي للفنان، عن طريق التشكيل الدرامي للحدث، الفكرة ، الهيكل الفني العام ، والأثر الفني برمته " (الشخصية القصصية بين الماهية و تقنية الإبداع ، صالح أحمد الدوش، مجلة أما راباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا العدد 20 ، السنة 2016م، ص182) فالروائي المبدع عليه أنْ ينتقي الشخصيات المناسبة في عمله الروائي إذ أنّها " كائن له سمات إنسانية، ومنخرط في أفعال إنسانية، ويمكن أن تكون رئيسية أو ثانوية ، ديناميكية أو ثابتة، متسقة أو غير متسقة، مسطحة أو مستديرة، ويمكن كذلك تحديدها على أسس أعمالها وأقوالها ومشاعرها وطبقاً لاتساقها مع الأدوار المعيارية، أو طبقاً لاتفاقها مع مجالات محددة من الأفعال، أو تجسيد لبعض العوامل" (المصدر نفسه ص 124) كما أنّ الشخصية الروائية تجسّد قصة مجتمع ، فهي تعالج قضايا وأفكار إذ تعمل هذه الشخصية دلالات ورموز تبرز من خلال الصراع الخفي وهذا ما سنبحث عنه في الذاكرة الخفية للسرد الروائي من خلال رواية بَنتْ جزءاً من فضائها (فعلياً أو رمزياً) استناداً إلى ممكنات الماء وقوته الإيحائية. أي محاولة استنطاق ما سها السرد عنه أو ما سربه على شكل وحدات وصفية تخبئ في ثناياها طاقة سردية يمكن أنْ تفتح النص الروائي على احتمالات سردية تسير في اتجاهين : تصف ما مضى وما يجب أنْ يكون. فاستعمالات الماء تذكر في هذا السياق، من خلال محاكاة رمزية، بالطوفان لا باعتباره حدثاً يتحقق من خلال كثافة الماء، بل من خلال إحالات ذاتية تسرب نماذج مصغرة تلتقطها الذاكرة اللاواعية للسرد، ومن خلالها تتحقق المضامين المجردة التي يتم تشخيصها في وضعيات متجذرة في واقع مألوف.

فالمشاهد السردية التي وردت على لسان الرواة بالتعاقب في الرواية تدور أحداثها في ديرة الهشيمة عن (حكاية مطلق وأولاده والسيد نور)، تناقلها الرواة بالعزف على الربابة يقصّ الرواة الستة أحداث "السيرة المطلقية"، والتي جرت وقائعها "بديرة الهشيمة"، **"وهي قرية عراقية تقع بين بدرة وزرباطية عاشت تحت الحكم العثماني قديمًا، ثم أصبحت محافظة، وقد عرفت منذ القديم باتجاهاتها الصوفية والعرفانية حتى أطلق عليها مدينة الأسلاف (ديرة الهشيمة) هذه التسمية التي كانت تطلق على مدينة الأسلاف في الماضي قبل أن تحوّل إلى ناحية فقضاء، فلواء أو محافظة كما تسمى الآن"** (سابع أيام الخلق، عبد الخالق الركابي، ص149) والشخصيات المحورية في هذا النص هي التي تشغل بؤرة الرواية من بدايتها إلى نهايتها وهي التي تكون ظاهرة في الرواية خدمة لإظهار الهدف الرئيس فيها ومن خلالها نصل إلى الحدث الجذري، فالشخصية المحورية هي التي تدفع بالأحداث إلى الأمام فلابدّ من

تمتعها بقوة الارادة وقوة الشخصية؛ لأنّها المحرك الأساسي للأحداث والمؤثر فيها ومن هنا يبدأ التصادم بين هاتين الشخصيتين المحوريتين السيد(نور) الولي صاحب الكرامات الذي يجله ويحبه الجميع يعيش بسلام وأمان وهدوء ودعة في جنته كما يعتقد هو، وهي النار عند شيخ العشيرة (مطلق) الباحث عن الطمع والجاه بشتى الوسائل، الجانح عن الطريق التي ستحرقه وأولاده؛ لأنّه رفض أنْ يستمع لنصائح السيد نور فبطل "السيرة الشعبية"، يمرّ على امتداد حياته بأطوار متعاقبة حاول بها الروائي كما يقول "اختصار تاريخ البشرية: فهو في البداية يقترن بالإنسان الأول وتوزعه بين محوري الخير والشر الذي يحسم بخروجه من جنة "الأمان" إلى جحيم "القلق"، أي أنّ نعيمه وجحيمه يبقيان حالتين وجدانيتين أكثر من كونهما واقعين ماديين. وكذلك الأمر معه حين يمرّ بدور قابيل وهابيل؛ فقد جسدت الأمر بانتصار حرفة الزراعة على الرعي. وهكذا تستمر التحولات: الطوفان والقحط ووباء الطاعون، إذ بعده يغدو "مطلق" بشراً سوياً كالآخرين، فيموت تاركاً للرواة من بعده مهمة تأليف سيرته التي تظل تنمو على مدى مئات السنين، يضيف الرواة عليها ويحذفون منها بقدر ما تسعه مخيلتهم" (ينظر: الرواية والتاريخ: استلهام الماضي: عبد الخالق الركابي ،مجلة الكلمة ،ع4، أبريل ،2007).

يبدأ الصراع بين (السيد نور) و(مطلق) من خلال هذا المقطع الواضح والصريح عندما بدأ مطلق بالتغيب عنهم والذهاب للبلدة وعودته محملاً بأشياء لم تعهدها الديرة التي اعتادت على حرفة الرعي والصيد والعيش البسيط الهانئ بعيداً عن عيون السلطة العثمانية **"مر بهم نكس الراس وفي أعقابه الفرسان الذين لم يكونوا سوى جنودا ! تلك الليلة كان السؤال الوحيد الذي ردده الجميع تحت اكواخهم هو عن سر قدوم هؤلاء الجنود في رفقة (مطلق)؟**

فجراً شوهدوا هم يرافقون مطلق في جولة استمرت طويلاً ذرعوا من خلالها الأراضي البكر الممتدة حتى تخوم الصحراء ..... لحظتئذ فقط عرف الجميع السر ؛ ..... وكان قد أنهى خمس خط لحظة توجه السيد نور نحوه ليسأله بحذر :

ما الذي تعمله يا مطلق ؟

فرمقه مطلق بنظرة خاطفة قال على إثرها وهو يستدير بدابته ، حاثاً إياها على معاودة سحب المحراث بادئاً بالخط السادس : كما ترى

-لقد التزمت بزراعة هذه الأرض المشاعة، بعدما فوضتني السلطة في البلدة ذلك

وأضاف بحماسة!

-لولا الهدايا التي اعتدت أنْ أتحف بها المسؤولين هناك لما سمحوا لي بزراعة الأرض

-وهل تدرك نتيجة أقدامك على هذا العمل ؟

-ستكون النتيجة خيراً من حياة الرعي والصيد التي لا تكاد توفر لنا لقمة الزاد

فسأله السيد نور بنبرة منذرة :

-وهل تحسب أنّ تلك السلطة التي فوضتك هذا الأمر وأرسلت معك جنود لترهبنا بهم فضلاً عن تزويدها إياك بحبوب البذار هل تحسب أنّها تقوم بكلِّ هذه الأمور دون ثمن ؟. فأولاه مطلق ظهره وأجابه باستهانة وهو في سبيله لحراثة خط جديد :

سأسدد ثمن حبوب البذار على دفعات ، كما سأدفع ضرائب ضئيلة لقاء التزامي بزراعة الأرض.

فصاح السيد نور في اثره :

لقد ضعت يا مطلق وضيعتنا معك؛ فقد انهيت بعملك هذا زمن البراءة الدعة وستتعاقب المصائب على هذه الأرض التي لم تعرف غير الأمان والسلام " (سابع أيام الخلق ص92-93) ونقرأ من هذا الحوار السردي بين القطبين المتناقضين رغبة (مطلق) في التملك بوصفه "وسيلة وهدف في الوقت نفسه، فهو وسيلة في مجتمع طبقي لكي يحقق الإنسان غاياته لأنّ الملكية تمنح الاعتبار الاجتماعي أو المنزلة الرفيعة" (الانثروبولوجيا الاجتماعية، عبد علي سلمان، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي– جامعة صلاح الدين، مطبعة جامعة الموصل، ص83) وهذا ما كان يبحث عنه لذا بدأت تحذيرات السيد نور لمطلق وتنبيهه أنّ ما يفعله سيجلب الدمار ولكن مطلق بإصراره استوجب سخط السماء فضلاً عن عدم قدرة السيد نور من ثنيه عن بناء القلعة فوق التل وهدده بأنه سيهجرهم إذا بدأ مطلق بالبناء وفعلاً **" هجر السيد نور كوخه القائم وسط الاكواخ والبيوت الطينية المبعثرة تحت ظل التل واتجه جنوبا متجاهلا**

الحاح الرجال الذين ساروا في أعقابه راجين إيّاه التريث في تنفيذ وعيده قال وهو يجيل بينهم بنظرة مهيبة :

_ لقد حذرته من قبل.. نبهته على ضرورة أنْ لا يدع شيطان الطمع يوسوس له فيقترف الاثم الذي سيحاط بعده بالشقاء والنصب ولكنه اولاني اذنا صماء واغمض عينيه تاركا هاوية الجشع تسحبه الى قعرها الذي ليس له قرار هذا فراق بيني وبينه ولن يجمعنا بعد اليوم طريق" (سابع أيام الخلق ، ص76) وهذا الفراق يحمل دلالات اجتماعية واقتصادية كبيرة ، تحيل إلى الوضع العام الذي تعانيه الشخصيات الفاعلة من جهة، وإلى الحالة المأساوية التي يعيشها العراق من جهة أخرى. تحت الاحتلال العثماني واصرار مطلق الذي يبحث عن حياة تختلف عن حياته مع كل هذه التحذيرات التي لا تجدي نفعاً جاء العقاب السماوي الذي غير وجه الديرة فهذا المكان الذي جسده المشهد على لسان الراوي: **" قال الراوي يومذاك كانت تلك البقعة تكفل لهم حياة رضية كانوا يحيونها بدعة وهدوء فإلى الغرب في الاتجاه الذي تمتد فيه صحراء شاسعة تفصلهم عن البلدة كانوا يسرحون ماشيتهم لترعى على هواها وإلى الشرق حيث تنداح الأهوار التي لا أول لها ولا آخر كانوا يتدفعون بمشاحيفهم الرشيقة ليعودوا بها بعد أيام وقد كادت تغطس حتى حافتها العليا تحت ثقل الأسماك والطيور التي اصطادوها وإلى الجنوب في الجانب الآخر من الوادي كانت تقوم بساتين النخيل وإلى الشمال وراء النهر تتابع التلال على مدى البصر حيث تكثر الغزلان والحباري وطيور الدراج والحجل التي يستطيعون الايقاع بها من تعب يذكر"** (سابع أيام الخلق ص87) " فالمكان اليوتوبي الذي جاء على لسان السارد يجسد رغبة الإنسان في إقامة "مدينة فاضلة استقرت فضائلها تنهي التاريخ وتتوج نهايته بانتصار عادل ومن حلم الإنسان بعالم عادل نهائي جاءت فكرة اليوتوبيا القديمة المتجددة التي تجعل من العالم المرغوب فيه نقيضاً كلياً لعوالم الإنسان المثقلة بتواتر لا نقص فيه بألوان التعسف والاضطهاد الذي لا تنقضي" (الرواية وتأويل التاريخ ،نظرية الرواية والرواية العربية ، فيصل دراج ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، ط1 ،2004م، ص22). لقد وظف الركابي هذه المتناقضات للتأكيد على عمق المكان والكشف عن دلالاته وإسقاط أبعاده على الشخصيات التي تشغله، وقد انعكست تجلياته على المستويين النفسي والاجتماعي "فالجمع بين الضدين مسخر لخلق إشكال لدى القارئ وتحفيزه". (السيمائيات السردية، رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1 2006م، ص: 81).

فما ورد في المشهد السابق يتطابق تماما مع رؤية السيد نور المتناقضة كلياً مع رؤية مطلق التي جلبت لهذا المكان ألوان التعسف والاضطهاد من المحتل العثماني فكانت اللعنات تتوالى عليهم والبداية كانت مشاهد واصفة لنا هول فعل(الماء) فيقول: **" بيد أنّ تحذيرات السيد نور لم تذهب سدى: فذات ليلة جفل الجميع على صوت رعد جبار هز أكواخهم فهبوا مذعورين من نومهم إذ أنّ موسم الأمطار قد أنتهى وحقول القمح فطمت لكي تجف السنابل قبل الشروع في الحصاد قالوا لعلها غيمة صيف سرعان ما تتبدد ولكنهم ادركوا خطاهم فقد شرعت ابواب اكواخهم تصطفق بفوضى على إثر هبوب عاصفة مفاجئة وواصلت البروق اشتعالها محيلة الليل بين فينة وفينة الى نهار ساطع قبل ان تقصف الرعود وهطل مطر مفاجئ حسب الجميع أنّه زخة ربيعية سرعان ما تتوقف ولكن المطر بقي يتواصل حتى الصباح وأخذت المياه تسرب من الشقوق التي تتخلل السقوف وشوهد مطلق يندفع من بيته كالمجنون....وهو يعدو في اتجاه الحقول التي أخذت مياه الأمطار تتجمع في المواضيع الخفيضة منها على شكل برك. ورفع راسه رامقاً الغيوم السود المدلهمة بنظرة هلع انطلق بعدها يجتاز الأكواخ المستسلمة لعصف الريح والمطر متجهاً شرقاً حيث يكمن مصدر الخطر القادم "**(سابع أيام الخلق،ص87) هذا المشهد الروائي كان البداية لفعل الماء الذي سيظهر ما تعتمله النفوس وسيغير حتى تسميات الأمكنة وتتحول من أمكنة أليفة اعتاشوا على خيراتها إلى أمكنة موت وخراب يصورها لنا السارد على لسان الراوي بعد أنْ فشلت كلّ السبل لإيقاف السيل الهادر فيقول: **"والحق أنّ الجميع يومئذ راحوا يتلفتون حولهم هلعين وقد أيقنوا أنّ كلّ لحظة تمرّ تقربهم من كارثة لا يدرك هولها سوى الله وكان مطلق أول من تنبه إلى نفسه فصاح بصوت جبار حاول أنْ يعلو به على زئير العاصفة :**

عجلوا ..علينا بتحصين الضفة الجنوبية للنهر ، فهناك يكمن الخطر ...

قال الراوي: ولكن أنّى للإنسان الضعيف الإفلات من غضب الله ؟ فمع كلّ حزمة يضعونها موضعها كانت تنجرف حزم في مواضع أخرى تحت ضغط المياه الذي أخذت تشخر وهي تندفع مزبدة على شكل شلالات كانت تنمو بسرعة خارقة لتغدو اخر الامر سيلا جارفا يكتسح كل ما يعترض سبيله..... فقد أخذت المياه مقتربة من أكواخهم وضجّ الأطفال والنساء بالصراخ فركض الرجال عائدين وكان مطلق آخر المنسحبين .عاد إلى بيته ليخطف ابنه الصغير طارش واضعاً إيّاه على كتفيه حاملاً كلّ ما في استطاعة ذراعيه المجهدتين حمله، آمراً امرأته بالإسراع في جمع ما تستطيع جمعه واخترق تحت ثقل حمله الأوحال والمياه وهو يصرخ :

-التل ..علينا الاحتماء بالتل ." (سابع أيام الخلق، ص87-88)

الالتجاء للتل يحمل في طياته الكثير من الدلالات ،فنحن امام ثنائية ضدية تقابل بين متناقضين في التل يلتقي(مطلق الخليفة الارضي الذي خالف تعاليم السماء) الذي لجأ للتل و(السيد نور الذي يمثل صوت الحق في الارض)هو الاخر سبق الجميع للاحتماء بالتل من عصف المطر تحت جانب من اطلال القلعة، فيتبادل الرجلان نظرة طويلة يتأمل أحدهما الآخر مع انفجارات الرعد التي تهز من تحتهما التل، ولا نفع من الكلام فيطلب منه السيد نور العودة إلى كوخه ،وحمل ما يستطيع حمله قبل الطوفان، فدوت هذه المفردة بذهن مطلق بصدى غريب، وبحلول المساء كانت الأكواخ خالية من الديار ،ونافخ النار، والبرق والمطر يشتد ،ولا وجود لصوت سوى صوت السيد نور يرتل الآيات والأذكار والقوم وجوه زرقاء مبتلة أشبه بوجوه الموتى (ينظر: سابع أيام الخلق ص88-89) يصف لنا السارد مشاهد الخوف والهلع الذي حلّ بهم بعد أنْ واصلت الأمطار هطولها بأعنف وأشد فيقول: **"وكان منظرهم فوق التل عجيباً يبعث الرهبة والهلع في القلوب: في الأسفل، قرب خط المياه الآخذ في التصاعد تجمعت الحيوانات البليلة الى بعضها ،وقد صعقها الرعب وأذلها الحصار... وتجمع البشر في أعلى التل ملتصقين ببعضهم، وكأنّهم يستمدون من دفءِ أجسادهم القدرة على البقاء والصمود، وهم يتقاسمون لقمة الزاد الواحدة بحرصٍ شديد خوفاً من أنْ يستمر هطول الأمطار مدة طويلة فضلهم عن يقينهم أن توقفها لا يعني انتهاء محنتهم سريعاً فمن المؤكد انحسار السيل لن يتم بالسهولة التي فاض بها .وتداخلت نهاراتهم بليلهم تداخل خيوط اللحمة البيضاء باللحمة السوداء وحل يوم توقفت فيه الامطار..."**(سابع أيام الخلق ص90).

ولم تنته المحنة هنا ولكنهم انتظروا الطيور التي لم تعود بعد ان كانت تذهب ايام وليالي وتعود منهكة ،لان الماء يغمر كل شيء ، حينها تيقنوا بقدوم لفرج وظهرت رؤوس التلال واعناق النخيل، وارتسمت الشمس دالة على انتهاء المحنة حينها كبر الجميع الرحمن **" يومها خاطب(السيد نور)(مطلق) قائلاً:- أ رأيت كيف أنّ الله سبحانه وتعالى قادر بطرفة عين أن يفعل ما يشاء ؟ وحينما لم يحر مطلق جواباً استطرد السيد نور في كلامه :- عساك أنْ تتخذ لك مما جرى عظة عبرة "** (سابع أيام الخلق ص99). أما الثنائية الأخرى التي تتمظهر من المشاهد الروائية ثنائية: العلو/الانخفاض من خلال ثنائية: السماء/الأرض، فالسماء تحمل معاني الرفعة العزة الحركة، وهذا ما بدا لنا من خلال فعل السماء. أما القطب الثاني/الانخفاض فيتحدد من خلال الأرض، فالأرض/الانخفاض تتماهى مع الضعة والذلة والانحطاط ما يجعل فضاء الأرض مكاناً معادياً موحشاً مرفوضاً، يتّسم بالسكونية وبالتالي: الموت وهذا ما يؤكده يوري لوتمان حين يشرح كيفية "أنّ الأماكن المرتفعة تسمح بوجود الحركة، بينما تتميز الأماكن المنخفضة بالسكونية" (مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان: ترجمة سيزا قاسم، ص: 66) فثنائية الأعلى والأسفل بحسب لوتمان تعني "كلما ارتفعنا كلما أصبح المكان لا نهائياً، وكّلما انخفضنا كّلما ضاق، وبهذا المعنى يختفي المكان عند النقطة التي تنتهي عندها منطقة الانخفاض ويترتب على ما سبق، أنّ الحركة لا تكون ممكنة إلّا في الأعالي ويصبح التضاد عال/منخفض لازمة بنائية توازي بالإضافة إلى تضاد خير/شر تضاداً آخر هو حركة/سكون، فالموت هو توقف الحركة، وهو حركة نحو الأسفل" (مشكلة المكان الفني، مصدر سابق، ص: 73).

وبهذا المعنى، يمكن أنْ يعدّ الماء بوصفه فضاءً في النص الروائي مشيراً إلى منظومة من القيم الفكرية والثقافية والرمزية القائمة على التقابل العمودي بين الأعلى والأسفل (العالي/المنخفض) "فالروحانية التي تكتسي العلا إكتنافاً لا تحيط بالعالم السفلي، وبذلك تتسم دلالة المحور الأعلى/الأسفل بدلالة أخلاقية

مكشوفة للغاية، حيث يأتي الشر من الأسفل أما الخلاص فهو اندفاع نحو الأعلى" (مشكلة المكان الفني، مصدر سابق، ص: 73). إنّ الماء هنا له رمزية مزدوجة: فهو ماء الطوفان وماء السيل الجارف، وباختصار إنه الماء العنيف الذي يقتلع كلّ شيء في طريقه.

نخلص إلى أنّ الماء هنا ليس دالاً من خلال كميته، يجب أنْ يؤول استعارياً من خلال هبوطه من أعلى إلى أسفل، وهي الإيماءة الدالة ليس فقط على الطوفان الجارف، أو السيل، في جميع الحالات فهو دال على ما يمكن أنْ يحيل عليه هذا السائل العجيب من عنف. وهو بذلك مفهوم وليس سمة مستمدة من شكله الظاهري، وإنّما تأسيسه لثنائية الحياة والموت والأرض والسماء، وهذا هو التعالق الأبدي سمة لبقائه وديمومته.

المبحث الثاني : الماء والنظائر الدلالية

تحضر النظائر الدلالية داخل النص الروائي محفوفة بالرموز والدلالات، التي يمكن تأويلها على مناحي متباينة وذلك لأنّ موضوعة الماء متأرجحة ومختلفة من مبدع إلى آخر فكانت الصور مختلفة ومدلولاتها متعددة تعكس الوجود الإنساني بتنوعه، فاستحضار فعل الماء وقوته هي التي قد تصنع عالم الموت كما الحياة في تناوب مستمر يعكس جدلية الوجود وسير مكوناته، حيث لا حركة إلا به ولا وصولاً إلا عن طريقه، حتّى في أكثر اللحظات حركة ورغبة وإقداماً. (الخطاب الشعري الجاهلي ،حسن مسكين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، بيروت، ط 1 ، 2005م، ص47)

***تحليل الملفوظات :**

الملفوظ الأول: الأهوار:

"الجباشات **"قال الراوي ففي اللحظة التي اكتشفوا فيها الجباشات التي اتخذ اللصوص منها مكمناً سرياً في أكثر الأهوار عمقاً وعزلة وفي تلك اللحظة التي كان الجنود فيها في سبيلهم للإطباق على تلك (الجباشات) جوبهوا بعيارات نارية كانت تربض في انتظارهم"** (سابع أيام الخلق ،ص225) وهي عبارة عن جزر صغيرة وكبيرة طافحة، تكونت بمرور الزمن من القصب والبردي، وأحياناً يقوم أبناء الأهوار بصناعتها وبنائها، وتصلح أنْ يشيدوا فوقها مساكن لهم، فسمّيت الجبايش نسبة إلى وجود هذه الجزر. " الحوار المتمدن ملكة القصب (مدينة الجبايش)، صلاح جبار أبو سهير ع7128، 2022).

ورد هذا الملفوظ كثيراً في الرواية وهو دلالة على فضاء سردي قصدي يحمل ذاكرة المكان التاريخية السردية والواقعية الرمزية، في غناه الدلالي على تغذية وإمداد السرد بمواد بنائه، بوصف هذا الفضاء مسرحاً للفعل- الحبكة-. (ينظر: الفضاء الروائي، مجموعة مؤلفين، ت: عبد الرحيم حزل: ص72) ظلت الأهوار ومنذ آلاف السنين تمثل مكاناً مثالياً لكائنات من حيوانات ونباتات... وكانت ملاذا آمناً لمن لا يحب السلطة الحاكمة" (الأهوار من طوفان نوح ع حتى قهوة المضائف. نعيم عبد مهلهل:ص100) وهنا تتضح لنا دلالة الاختباء في هذه الأمكنة بعيداً عن عيون السلطة العثمانية التي كانت تطاردهم، فوفرت لهم الحماية بوصفها ملاذاً آمناً، وفي هذا الفضاء سرديات متداخلة وحتى الألفاظ وإنْ اختلفت شكلاً فهي متداخلة المعاني كما هو الحال في تسمية "بزايز الجولان" يقول السارد: **"يومذاك اطلق (بزايز الجولان) على تلك الأهوار فقد تحولت تلك المساحات المائية الشاسعة التي كانت تفصل اليابسة عن جزيرة البطيحة إلى مستنقعات وبزايز لا ينمو فيها سوى نبات الجولان وكانت مناسيب المياه قد هبطت بطبيعة الحال في الأهوار الجنوبية"** (سابع أيام الخلق، ص 208-209) أسم على تلك الأهوار وهي جزء من هذا الفضاء الجغرافي الكبير؛ إذ يأتي هذا الملفوظ داخل الرواية للدلالة على التغيرات الديموغرافية وأثرها الاجتماعي على أبناء ديرة الهشيمة، ويصور واقع الحال الذي كان عليه هؤلاء وهم يعانون من أثر الطوفان وما تبعه، حيث يعري السارد واقع هذا الفضاء الروائي والذي يعيش أوضاعا متردية، نظراً لضعف الإنسان بوصفه المعمر للأرض، وما سيتسبب فيه من متاعب كثيرة، فضلاً عن استفحال ظواهر اجتماعية عديدة أبرزها اللصوصية. **" فقصاصوا الأثر سرعان ما كانوا يؤكدون أنّ الدلائل كلها تشير إلى أنّ اللصوص قدموا من بزايز الجولان وعادوا اليها !**

-من يكون الجاني غير المعيدي وهو سيد الأهوار بلا منازع " (سابع أيام الخلق، ص266). إذا كان للماء دلالة سطحية مباشرة، وهي الخلاص من الجفاف والعطش فضلا عن الاختباء ، فإن رواية (سابع

أيام الخلق) تحمل دلالات عميقة بين سطورها، وهي سعي أبطالها إلى تجاوز الجفاف القهري الاجتماعي، وظمأ الحياة الحقيقي الذي ألمّ بهم ودفع بهم إلى مغادرة بلدتهم بحثاً عن الارتواء، وهو ما فعله طارش الابن الأكبر لمطلق الذي عانى من فقد الأم ،ومعاملة زوجة الأب ،ذهب ليبحث عن أغنامه المسروقة، بعد ان تيقن من السارق ولكن ما حدث في الأهوار بين ابن مطلق طارش والمعيدي الملقب(سيد الأهوار) الذي عشقت ابنته طارش عندما جاء للبحث عن والدها ليحاسبه ، ولكن هنا اصبح للأهوار دلالة اخرى هي غير اللصوصية والسلب ،او القتل، او الاختباء ، فقد كانت سرقة الاغنام من قبل المعيدي وذهاب طارش الابن الاكبر(لمطلق)باحثا عنها لأنَه كان على يقين إنَّه السارق تغيرت الأمور فقد أحب طارش ابنة ذياب من أول لحظة ولم يسأل عن أغنامه وإنَما اغتنم الفرصة لمبادلتها الحب بغياب والدها وبعد أنْ اكتشف الأب هذه العلاقة كاد أنْ يقتله ويقتلها لولا أنْ علم إنَه ابن مطلق فلم يكن يريد عداوته وهو يعاني من تتبع السلطة العثمانية له فذهب لمطلق وجلبه معه إلى الأهوار وبخاصة الجباشات التي يسكن فيها ذياب ورأى(مطلق) بإم عينه ولده طارش ويصور لنا الرواي المشاهد التي رأى فيها مطلق ولده قرب جباشة ذياب فيقول :

-ألم اقل لك انه هو !

همس المعيدي مطبقا أصابعه على البندقية بعنف وشخص (مطلق في الضوء الرمادي الذي تعكسه سماء ازدادت زرقتها عمقا ،لرجل يحوم بمشحوفه حول كوخ المعيدي وظهرت فتاة من فتحة الباب ترفل بثوب احمر تألق لونه بأجلاء خضرة ما تحيط به من مياه ونباتات لمحها مطلق تجيل بنظراتها حولها قبل ان تومىء الى صاحب المشحوف. وان المعيدي الما يفح من خلال اسنانه

- سأذبحها هذه المرة ! أرأيت أنها تحذره من الاقتراب متوجسة من كوني أراقب كوخي بعدما كشفت سرهما !!!

فلم يملك مطلقا لا ان يهمس متساءلا !!

لم لا تقتله يا رجل ؟ فأجابه المعيدي بنبرة باكية

ذلك لأنه ابنك طارش!!

ابني طارش

همس مطلق غير مصدق سمعه وتنقل بعينين مجنونتين بين المعيدي وصاحب المشحوف الذي بدا كانه لم يفقه ايماءات فتنة المحذرة فقد واصل اقترابه من حافة الجباشة

-نعم ابنك طارش والا لم اكنت اتردد عن قتله لحظة واحدة ؟!

قالها المعيدي بحرقة ليتابع بعد لحظة صمت :

تكفيني مطاردات الجنود وغاراتهم علي فكيف تريدني أن أثير عداوتك انت الذي تطوق بديرتك مسلكي الوحيد الى البر؟

-حسنا دع الأمر لي !!

همس مطلق وقد قر أمره على أمر لارجعة فيه وبحركة مباغتة اختطف البندقية من يدي المعيدي الذاهل ليسدد نحو ابنه " (سابع ايام الخلق ص240 -242) وبعد ان سدد مطلق بالبندقية لابنه اكد لذياب بانه سينصفه ولن يسمح لاحد بتلطيخ شرفه او شرف غيره وبالفعل اوفى الرجل بوعده وتزوج طارش من فتنة ابنة ذياب فهذه المشاهد السردية توحي بدلالات عديدة وتحتمل الكثير من التأويل فهي ليست على صورة واحدة نمطية لاتتعدى الكر والفر مع السلطة او غيرها بينت لنا العادات والتقاليد الاجتماعية وسطوتها فضلا عن دلالات الحياة والبهجة وقصص الحب رغم الظروف التي يعيشها اهل هذه المنطقة والمفارقة الجباشات حملت النقيض ايضا الموت والحياة بوصفها جزءا من سردية الماء

الملفوظ الثاني: الأمطار:

ممّا جاء في الرواية: **" وقد قيل قديماً: من لم يتدبر العواقب ما الدهر له بصاحب؟ فقد كان الشتاء التالي رهيباً ذكر الأحياء بصيف الوباء الأسود؛ فقد حبست السماء أمطارها: ما تكاد تتلبد بالغيوم وتشرع البروق في الومض والرعود في القصف حتى تنتهي تلك الضجة بسقوط قطرات شحيحة ترقط الأرض**

ببلها العابر مشبعة رائحة التراب وتعود السماء بعدها كهدهم بها زرقاء لا تشوبها شائبة حيث تتوسطها الشمس التي سرعان ما تجهز بوهج يخطف الأبصار على زغب الأعشاب الشاحبة" (سابع أيام الخلق ص208-209) تجدر الإشارة إلى أنّ فهم هذا الملفوظ يحتم بالضرورة الرجوع إلى سياقه الذي ورد فيه في الرواية، فالسياق هنا والدلالة تختلف فبعد الطوفان والوباء حبست السماء ومنعت الأرض كما يقال نجد الراوي يصف لنا حال البواشق الذين يتفرجون على الحياة ، وقد غدت تتسرب كالماء الذي انحسر من بين أيديهم فعاقبتهم السماء بعد الوباء بالجفاف، يكابدون الماسي ويتحملون الألم والجوع والفقر في محاولة للبقاء أحياء والحصول على فرصة للعيش بعد توالي النكبات وتجنبا للإطالة لم نورد الدلالات الأخرى وقد أشرنا لفعل الأمطار في سياق متقدم .

الملفوظ الثالث: وادي الزود :

"قال الراوي: من ذلك اليوم أصبح الوادي الشمالي يعرف باسم (وادي الزود)" (سابع أيام الخلق ص87) يأتي هذا الملفوظ داخل الرواية ليصور واقع الحال الذي كانوا عليه عندما تعرضوا للطوفان، وحاولوا بكلّ ما يستطيعون تفادي هول الكارثة ولكن باءت الجهود بالفشل فاطلق الاسم على هذا الوادي تذكاراً للطوفان الذي لم تشهد المنطقة له مثيلاً، فهو يشكل بالنسبة لهم ذاكرة وجزءاً لا يتجزأ من السيرة المطلقية التي قام عليها النص الروائي .

الملفوظ الرابع: وادي المر:

"سمي الوادي الجنوبي باسم وادي المر تخليدا لمرارة الدموع التي سفحت على حافته وحّلت أيام خيّم خلالها على الأكواخ والبيوت صمت مخيف" (سابع أيام الخلق ص110-111) يؤشر هذا الملفوظ في معناه الظاهر على الحزن والقهر، الذي أصاب ديرة الهشيمة بعد أنْ توالت عليها المصائب فالطوفان أعقبه الطاعون، فالدموع المسفوحة دالة على كمية الوجع والقهر على فقد أحبتهم، فالمقبرة التي المشرفة على هذا الوادي ضاقت عن استيعاب المزيد من الموتى.

الملفوظ الخامس: السيل:

" قال الراوي وحلّ الصباح بعد طول انتظار وليته لم يحل فعلى وهج ذلك الضياء الرمادي الخافت رأوا مياه السيل وقد طوقتهم من كلّ جانب لتمتد على مدى البصر، وثمة أشجار مقلوعة وجثث حيوانات نافقة تغوص وتطفو ،وهي تنحدر مثيرة في سيرها المتثاقل الكثير من الزبد " (سابع أيام الخلق ص) يبدو من خلال الملفوظ حالة الانكسار التي يعيشها أبناء ديرة الهشيمة، التي تسببت في أزماتهم اللاحقة في معظم المشاهد السردية التي وردت في النص فهي بداية للجفاف والقحط والوباء فهذه القوة الغريبة المجهولة التي تأتي على حياة الإنسان وتعبث براحة الأشياء واستقرارها وأمنها وسلامتها الغريبة ورمز نظامها (ينظر: قراءة ثانية لشعرنا القديم، ناصف مصطفى، بيروت دار الأندلس، ط 2 ،1981م، ص69) ناتج المطر السيل الذي يتسم بقدرة التغير والشمولية التي تصيب المكان على تعدد أسمائه فتشتد فاعليته إلى تغيير معالم الطبيعة (ينظر: النقد النسقي تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، يوسف محمود عليمات، ص26) منها نتجت الملفوظات التي ذكرناها كبزايز الجولان، ووادي الزود، ووادي المر؛ التي تسببت أيضاً بظواهر اجتماعية متناقضة مثل تكاتف عشيرة مطلق وأهل ديرته على تقاسم لقمة الخبز تفادياً لما حلّ بهم، وعلى النقيض من ذلك لتفشي السرقات من قبل المعيدي وجماعته وهو الذي كان يتهيّب أنْ يمرّ بديرة مطلق خوفاً منه.

لذلك هناك تفاوت مهول بين صور الدال السردي وبين الإحالات الرمزية التي تكشف عنها مدلولاته. فالنص يخضع في انتظام وحداته لتوحي بواقعية مفرطة، لكي ترصد التحولات الكبرى من خلال سرد خطي يضع مردوديته في "أفعال" مركزية (وظائف) تستغني في الكثير من الأحيان عن تداعياتها الفرعية. فالقصة موجهة لموضوع في بعض حالات الماء، وفق تحققه ضمن أشكال بعينها.

والخلاصة أنّ الوقائع لا يتم تشخيصها ولا يتم التعرف عليها من خلال إحالاتها المباشرة على عوالم سردية، ولكنها تحضر في النص باعتبارها سيرورة استعارية تتطابق مع مقتضيات صور دفينة لا يقوم السرد في واقع الأمر سوى بمنحها وجهاً مشخصاً يدركه المتلقي في بداية الأمر من خلال ما يحيل عليه من وظائف نفعية، ولكنه يقوده، من خلال هذا الوجه بالذات، إلى استبطان صور أو انفعالات لا مرئية

مدفونة في لاشعور إنساني يعرف كيف يخزن ويخفي، ويعرف كيف يحوّل ما يخزن إلى صور بالغة الغنى والتنوع يستمد منها الوصف في الرواية طاقة ظلامية إضافية تأتي بالمزيد من الدرامية على غرق فعلي ورمزي في آنٍ واحد هناك توافق بين الظلام والصواعق والغرق ويكفي أنْ يشير النص من باب المحاكاة إلى الماء والظلام والعاصفة لكي تنفتح أمام المتلقي كلّ العوالم التي صاغتها الثقافة حول حالات الغرق في التاريخ. إنّها تتحقق في المشخص من خلال ما يشبه عملية قلب معنوي لكي تصبح حاضنة لرغبات هي شيء آخر غير وظيفيتها لذلك ، إذا كانت القطرة لا تستوعب نموذجها، فإنها تذكر به من خلال مجمل حالات تجسده، فإنْ يكون الماء زلالاً أو سيلاً أو جدولاً أو طوفاناً، فإنّه لا يحيل في نهاية الأمر سوى على رمزية متفاوتة القيمة والمردودية. ومع ذلك، فإنّ شكل وجوده يدفع إلى تحقيق ممكنات على حساب آخر. إنّه في الأصل واحد ولكنه متعدد في الامتدادات. فالماء ذاته هو الذي أغرق ديرتهم وهو من ينقذها من الجوع والهلاك وعلى هذا الأساس ، ليس الحدث هو العنصر المركزي في النص، فالحدث مدرك من خلال طوليته الزمنية المباشرة، بل ظلاله التي تختبئ في الماء ولا شيء غيره.

الخاتمة :

1- مثل الماء في رواية (سابع أيام الخلق) تقنية سردية أنبنى عليها الحدث الروائي وتشكّله.

2- تعدّدت مسمّيات الماء داخل الرواية بفعل تأثير الطبيعة الكونية والمجتمعية عليه، وما رافق تحولات وجوده وتأثيره في تغير ديموغرافية الأرض جراء الطوفان. وهو ما مثلته ملفوظات الماء داخل الرواية كـ(الأهوار، الأمطار، السيل ، وادي المر، ووادي الزود) معنوياً كان أم مادياً التغير الذي استجد.

3- أصبح "الماء" هو المتحكم في مصير الديرة بمثل تحكمه في تفشي بعض المعتقدات فيها، وقد أضحت متحكمة في يقينياته، فوطأة الإحساس بالفقد ، تدفع الإنسان للتفكير الدائم فيه.

4- إنّ "الماء" في الرواية جاء مؤطرًا لمواقف الشخصيات، ولأحاديثهم وأمزجتهم وأنشطتهم الزراعية والاقتصادية، ولأسمارهم وأزمنتهم ومصائرهم في الديرة ممّا شكل هاجساً كبيراً بعد تحولهم للزراعة.

المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم .**

1- أدبية النص السردي عند أبي حيان التوحيدي، حسن إبراهيم الأحمد، دار التكوين للتأليف والنشر، دمشق سوريا، ط1، 2009م.

2- الأهوار من طوفان نوح ع حتى قهوة المضائف. نعيم عبد مهلهل، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، العراق، ط1، 2009م .

3- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3 ،2000م.

4- الخطاب الشعري الجاهلي، حسن مسكين، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، بيروت، ط 1 ، 2005م.

5- رمز الماء في الأدب الجاهلي، د. ثناء أنس الوجود، مكتبة الشباب ، مصر، د.ط ، د.ت .

6- الرواية والتاريخ: استلهام الماضي: عبد الخالق الركابي ،مجلة الكلمة ،ع4 ،ابريل ، 2007م.

7- الرواية وتأويل التاريخ- نظرية الرواية والرواية العربية ، فيصل دراج ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ،2004م ،

8- سابع أيام الخلق، عبد الخالق الركابي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط4 ،2011 .

9- السيمائيات السردية، رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1 2006م.

10- الشخصية القصصية بين الماهية و تقنية الإبداع ، صالح أحمد الدوش، مجلة أما راباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا العدد 20 ، السنة 2016م.

11- شعرية السرد في روايات ليلى العثمان، وليد حامد الجعل، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة ، 2015م.
12- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1 ،1408ه- 1988م.
13- الفضاء الروائي، مجموعة مؤلفين، ت: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، ط1، 2015م.
14- قراءة المظاهر المتعددة للماء داخل الرواية، جريدة الاتحاد، 31 مارس ،2009م .
15- قراءة ثانية لشعرنا القديم، ناصف مصطفى، بيروت دار الأندلس، ط 2 ،1981م.
16- الكتاب المقدس كتب العهد القديم والجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ،بيروت ،ط4، 1995م.
17- الكلام والخبر-مقدمة للسرد العربي-، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1997م.
18- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
19- مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان: ترجمة وتقديم: سيزا قاسم دراز، مجلة ألف- عيون المقالات، ع8، 1987م .
20- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت ،ط2 ،1984م.
21- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م .
22- مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف خليف، دار الحقائق ، بيروت ، ط4 ،1985م.
23- ملكة القصب(مدينة الجبايش)، صلاح جبار أبو سهير الحوار المتمدن، ع7128 ،2022م.
24- النقد النسقي تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، يوسف محمود عليمات، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 2015م .